ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: www.jtuh.org/

Linguistic Changes in Contemporary Arabic Dialects: An Analytical Study

Haneen Sadoon Majeed

Tikrit University/ College of Education for Humanities/ Department of Arabic Language

* *Corresponding author: E-mail* :
Haneen.majeed23@st.tu.edu.iq

Keywords:
Dialects
Arabic
Scholars
Language
ancients

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 15 July 2024
Received in revised form 25 July 2024
Accepted 17 Aug 2024
Final Proofreading 17 Dec 2024
Available online 25 Dec 2024
E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

A B S T R A C T

This study offers an overview of how both contemporary and traditional Arabic academics have viewed the idea of dialects and the development of Standard Arabic (Fus'ha). It talks about the dialectal characteristics in Standard Arabic sentence structure (Fus'ha) and the opinions of academics on the link between Standard Arabic and its dialects. The study comes to the conclusion that studying ancient dialects is difficult at the present time since there is so much linguistic data accessible that it is not very helpful in this area. This problem stems from the fact that, in spite of their important contributions to language, ancient Arabic intellectuals paid little attention to dialects and only sometimes mentioned them in their writings.

© 2024 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://doi.org/10.25130/jtuh.31.12.2.2024.01

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities

التغيرات اللغوية في اللهجات العربية المعاصرة (دراسة تحليلية)

حنين سعدون مجيد/ جامعة تكريت/ كلية التربية للعلوم الانسانية

الخلاصة:

يتناول البحث بشكل عام آراء علماء العربية من القدماء والمحدثين حول مفهوم اللهجات وكيفية نشوء اللغة العربية المشتركة (الفصحى)، كما يستعرض الآراء المتعلقة بالفصحى ولهجاتها، بالإضافة إلى تأثير الصفات اللهجية على بناء الجملة في الفصحى. ويخلص البحث إلى أن دراسة اللهجات القديمة تعد مهمة صعبة في عصرنا الحالي، والمادة اللغوية المتوفرة ليست كافية لتحقيق ذلك بشكل فعال، فعلماء العربية القدامى، رغم إسهاماتهم الكبيرة، لم يخصصوا الكثير من الاهتمام للهجات، واكتفوا بإشارات متفرقة عنها

في كتبهم، والتي غالباً ما ركزت على الدراسات الصوتية والدلالية، والقليل منها تطرق لبناء الجملة. في المقابل، أدرك المحدثون أهمية دراسة اللهجات في فهم طبيعة الفصحى، فسعوا إلى دراستها وتحديد خصائصها المشتركة، إيماناً منهم بأن ذلك يساهم في تقليص الفجوة بين اللهجات ويعزز التفاهم بين أبناء الأمة العربية.

اللهجات، العربية ، علماء ، اللغة ، القدماء، المحدثون، الفصحى

المقدمة:

لدراسة اللهجات العربية أهمية كبيرة لا يمكن إغفالها، لما تمثله من دور كبير في الكشف عن عناصر هذه اللهجات والظواهر اللغوية البارزة فيها، التي يمكن أن توصلنا إلى الكثير من التطورات التي أصابت اللغة عبر ماضيها السحيق، وكذلك يمكن للباحث من خلال تتبع هذه الظواهر أن يفسر كثيرا من المفردات اللغوية والصيغ والأبنية المتداولة مما له دوره الفعال في رد العامي إلى الفصيح بتتبع الاستعمال اللغوي لهذه اللفظة أو تلك وما أصابها عبر التأريخ. ثم إن دراسة كل لهجة من اللهجات المحلية أمر ضروري لتتقارب وتتوحد، وكثير من الكلمات الفصيحة تشترك فيها عدة لهجات مع تغير في نطق بعض حروفها، أو إبدال، أو قلب إلى غير ذلك مما يحدث عادة في تخفيف اللفظ لكثرة الاستعمال (رشيد، ٢٠١٥، ص٦٤-٨٢).

من الحقائق المؤكدة في الدراسات اللغوية الحديثة أن اللغة تتأثر وتتصل بلهجاتها عبر الزمن، مما يؤدي إلى انتقال العديد من خصائص اللهجات إلى الفصحى على مختلف المستويات. ونتيجة لذلك، أصبحت الفصحى مزيجًا من عدة لهجات، وفي بعض الأحيان نجد ظواهر لغوية تظهر بأشكال متعددة. هذه التأثيرات اللهجية على بنية الجملة قد ساهمت في إثارة الخلاف بين النحويين.

تُعرّف اللهجة في اللغة كما ورد في كتاب "العين" بأنها الطرف من اللسان أو جرس الكلام، ويُقال إن اللهجة هي اللغة التي اعتادها الإنسان ونشأ عليها، والتي تميز بها منذ نشأته. (دمياطي، ٢٠١٠، ١٢٣) كذلك اتبع ابن فارس نهج الخليل في تعريفه، حيث قال: "يُقال عن الشخص إنه فصيح اللهجة، واللهجة تشير إلى اللسان وما يُنطق به من كلام. وسُميت لهجة لأن كل فرد يلهج بلغته وكلامه الخاص." (أحمد الخليل، العين، مادة (ل) هـ (ج) (٣/٣٩١).)

واستفاد ابن منظور مما ذكره الخليل وابن فارس في مفهوم اللهجة، حيث قال: "اللهجة في اللسان هي اللغة التي يتعود الإنسان عليها وينشأ عليها". (أبو فارس، ٢١٥)

واللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث تشير اللهجة إلى مجموعة من الصفات اللغوية التي ترتبط ببيئة معينة، حيث يشترك جميع أفراد هذه البيئة في تلك الصفات. وتكون بيئة اللهجة جزءًا من بيئة أوسع تضم عدة لهجات، لكل منها خصائصها المميزة، لكنها تشترك في مجموعة من الظواهر اللغوية التي

تسهل التواصل بين أفراد هذه البيئات وفهم ما يدور بينهم من حديث، وهو ما يتوقف على قوة الرابطة بين هذه اللهجات. البيئة الشاملة التي تحتوي على عدة لهجات تُعرف باللّغة، وبالتالي تكون العلاقة بين اللغة واللهجة هي علاقة بين العام والخاص.

فاللغة تشتمل عادة على عدة لهجات لكل منها ما يميزها وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية والعادات الكلامية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات. (انس، ٢٠٠٢، ١٦)

وفي التعريف الآخر لـ "اللهجة" هي أسلوب أداء الكلمة إلى السامع من مثل إمالة الفتحة والألف وتفخيمها ومثل تسهيل الهمزة أو تحقيقها فهي محصورة في جرس الكلمات، وكل ما يتعلق بالأصوات وطبيعتها وكيفية أدائها . (عبد الوهاب، ١٩٤٨، ٥٤)

اللغة تُعرَّف على أنها مجموعة من النظم المجردة بشكل عالٍ، تتميز بإنتاجية غزيرة، مما يمكّن المتحدث من صياغة جمل بشكل صحيح وفقًا لتقاليد البيئة المعنية، مما يتيح الفهم والإفهام، ويساهم في تيسير عملية الحياة. (بشر، ١٩٩٧، ٤٦) وأيضا أن اللغة قوام الحياة وعمادها الأول واللغة العربية (مفلحه، ٢٠١٨، ٨٦٥)

مناهج البحث

اتبعت الدراسة المنهج الوصفي حيث يعتمد المنهج علي وصف الحقائق اللغوية وتحليلها بهدف الوصول إلى النتائج المأمولة.

المبحث الأول: مفهوم اللهجة عند المحدثين

لا شك أن دراسة اللهجات العربية القديمة مفيدة في الدراسات اللغوية الحديثة، فمن خلالها نستطيع أن نعرف التطور في معاني الكلمات، ونعرف ما تؤديه تلك الكلمات، مع فارق أنها تختلف باختلاف البيئات، فاستعمال القبائل للكلمة العربية لا يعني بالضرورة التشابه والتماثل، فبدراسة تلك اللهجات نستنتج ما حدث للغة العربية الفصحى من حيث التطور خلال تاريخها الطويل. إن الخصائص الخاصة التي تميز اللهجة تتجلى في نطقها للكلمات وطريقة التعبير الصوتي التي تختلف عما يشبهها في اللهجات الأخرى، فاللهجات في البيئة البدوية تختلف عن تلك الموجودة في البيئة الحضرية، والظروف الاجتماعية التي نجدها في بيئة ما قد تختلف عما هي عليه في بيئة أخرى، وتعطي لهجتها خصائص تختلف كثيرا عما هي عليه في الثانية، وهكذا. كما أن دراسة اللهجات العربية تساعدنا على فهم اللهجات العربية بشكل أفضل (إبراهيم، ٢٠٢٣،ص٢) .

تُعرَّف اللهجة، وفقًا لوجهة نظر المحدثين، على أنها مجموعة من الخصائص اللغوية التي يتحدث بها مجموعة من الأفراد في بيئة جغرافية معينة. تشمل هذه الخصائص مختلف المستويات الصوتية

والصرفية والنحوية والدلالية، مما يميز اللهجة عن غيرها من اللهجات في اللغة الواحدة. ومع ذلك، يجب أن تظل هذه الخصائص محدودة بحيث لا تجعل اللهجة غريبة عن اللهجات الأخرى أو صعبة الفهم على الناطقين باللغة. فعندما تزداد هذه الصفات الخاصة بمرور الزمن، قد تصبح اللهجة مستقلة وتتحول إلى لغة قائمة بذاتها، كما حدث مع اللغة اللاتينية التي انقرضت وتفرعت عنها لغات مثل الإيطالية والفرنسية والإسبانية. وبالمثل، استقلت العديد من اللغات عن اللغة السامية الأم، مثل العربية والعبرية والآرامية.

تُعتبر بيئة اللهجة جزءًا من بيئة أوسع تشمل عدة لهجات، تتميز كل منها بخصائصها الفريدة. تربط بين هذه اللهجات مجموعة من الظواهر اللغوية التي تسهل تواصل الأفراد وفهم المحادثات بينهم. تلك البيئة الشاملة، التي تتكون من عدة لهجات، هي ما يُعرف باللغة. لذا، فإن العلاقة بين اللغة واللهجة تُعتبر علاقة بين العام والخاص. (انيس، ١٩٦٥، ١٨)

عندما تتعدد اللهجات في لغة واحدة، يصبح من الصعب تحديد الحدود اللهجية بينها. ومع ذلك، فهذا لا يعني أن اللهجات تفتقر إلى الحدود تمامًا، إذ تمتلك كل لهجة مجموعة من الصفات المشتركة التي تميزها عن اللهجات المجاورة. وبالتالي، يمكننا الحديث عن وجود لهجات مختلفة كلما لاحظنا وجود عدد كبير من الفروق التي تفصل بين الخصائص، حتى وإن كانت تقريبية. وعندما لا يمكن رسم حدود دقيقة بين منطقتين متجاورتين، يبقى أن كل منطقة تتميز بمجموعة من السمات العامة التي قد لا تتواجد في الأخرى. يعود تقسيم اللهجات إلى شعور حقيقي لدى سكان الإقليم الواحد، يتمثل في إدراكهم بأنهم يتحدثون بطريقة تختلف عن تلك التي يتحدث بها سكان المناطق المجاورة. (شاهين، ١٩٨٠، ٢٢٥)

وبدأت دراسة اللهجات العربية في العصر الحديث على يد المستشرقين الذين جاءوا إلى العالم العربي لاستكشاف أوضاعه وثقافته منذ القرن التاسع عشر. كانت تلك الدراسات في البداية أعمالًا بسيطة تعتمد على جمع المادة وتحليلها بطريقة تقليدية، لكنها سرعان ما تطورت وازدادت قوة بفضل تقدم الدراسات اللغوية المعاصرة في الغرب، واستفادة الباحثين من التقنيات الحديثة مثل الأجهزة والمختبرات في مجال البحث اللغوي. وقد اهتم العديد من الباحثين العرب المحدثين بدراسة اللهجات العربية في مختلف أنحاء العالم العربي، كما ساهمت الجامعات العربية في تعزيز هذا الاهتمام بين اللغويين العرب من خلال تأليف الكتب التي تتناول اللهجات العربية قديمًا وحديثًا. (الدواخيلي، ١٩٥٠، ٢١٣)

يستند اهتمام هؤلاء العلماء بدراسة اللهجات العربية الحديثة بناء على اعتقادهم بأنها تسهم في فهم طبيعة اللغة ومراحل نشأتها وتطورها، وتساعد في توضيح تاريخها. كما يلعب ذلك دورًا في دراسة اللهجات العربية القديمة، حيث تحمل اللهجات الحديثة بعض الصفات التي يمكن أحيانًا إرجاعها بسهولة إلى لهجات عربية قديمة. (جونستون، ١٩٧٥، ١٢)

المبحث الثاني: نشأة اللغة العربية المشتركة (الفصحى):

اللغة العربية التي نتحدث بها اليوم تعرف باللغة الباقية، نشأت هذه اللغة في منطقة الحجاز ثم انتشرت في كثير من مناطقها، وأقدم ما وصل منها بعض النقوش والعلامات التي ترجع إلى القرن الثاني الميلادي، وأقدم ما وصل منها من آثار راقية هي الشعر والنثر الجاهلي، وقد جمعت معاً في القرن الأول الميلادي، أما عن الهجرة.

الأول: يأخذ بها إلى الانقسام كما حدث للغة الجرمانية التي نشأت عنها الانجليزية والألمانية والهولندية.

والثاني: وهو ما يهمنا هنا، حيث يسهم في توحيد اللغات، مما يؤدي إلى تكوين لغات مشتركة. يحدث ذلك عندما تتاح الظروف لإحدى اللهجات لتتفوق على باقي اللهجات في بيئة لغوية معينة. هذا ما حدث للهجة باريس التي تغلبت على معظم لهجاتها الأخرى، حتى أصبحت لغة الآداب والكتابة في فرنسا، وكذلك للهجة لندن التي نجحت في التفوق على أبرز لهجات إنجلترا، مما أدى إلى ظهور اللغة الإنجليزية المشتركة. عادةً ما يترافق التوحيد اللغوي مع تلبية الاحتياجات الاجتماعية، حيث يسعى الأفراد إلى تعزيز الفهم وتوثيق الروابط بينهم، مما ينتج عنه تقارب في أنماط الكلام. ولولا مقاومة المجتمع للتفكك اللغوي، لواجه العالم مجموعة متنوعة من أنماط الكلام التي لم تكن لتزداد إلا تباعدًا مع مرور الزمن. (انيس، ١٩٨٠، ١٢)

يشير اللغويون إلى أن نشأة اللغة المشتركة هي عملية تدريجية تتطلب وقتًا طويلًا وظروفًا اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية، ولا تحدث في جيل أو جيلين فقط. حيث تبني هذه العملية على الاتصال والاختلاط بين الأفراد. حيث تنشأت هذه الظروف نتيجة لحروب تؤدي إلى تداخل أشخاص من لهجات مختلفة، أو بسبب الأسواق العامة التي يجتمع فيها الناس من بيئات لغوية متنوعة لتلبية احتياجاتهم ومصالحهم، أو من خلال إقامة مناسبات دينية تجمع سكانًا من مناطق مختلفة. تساهم هذه اللقاءات المتكررة مع مرور الزمن في إذابة الفروق اللهجية بشكل غير واعٍ بين المتحدثين، مما يسهم بشكل فعّال في توحيد اللغة. (حسن، ١٩٥٨، ٢٥). فمن المهم أن نشير في هذا السياق إلى أن دراسة اللغات المشتركة في العصور التاريخية تكشف عن صعوبة تحديد أي العوامل كان لها التأثير الأكبر في تكوينها. كما لا يعني ذلك أنه يجب توفر جميع هذه العوامل في كل حالة على حدة.

تبدأ اللغة المشتركة نشأتها من مركز معين يمتاز بنفوذ سياسي وحضاري يتفوق على غيره، مما يجعل المناطق الأخرى تتطلع إليه وتقبل قيادته. يتوجه الناس إلى هذا المركز، مما يؤدي إلى تأثير لهجة سكانه عليهم وتأثرهم بها. تتبلور عملية الاتصال في النهاية حتى تؤول الى شكل من الكلام يعتمد على اللهجة المحلية الأصلية، بعد أن تمتزج بعناصر من لهجات أخرى متنوعة. وبالتالي، يتكون مزيج منسجم يتم قبوله من الجميع، وينتشر في مختلف البيئات اللغوية، وهو ما يُعرف باللغة المشتركة. (انيس، ١٩٦٠، ٦٣)

ومراكز اللغات في العالم هي عادة عواصم الدول والمدن الكبرى التي تهيأت لها الظروف السياسية والاقتصادية والثقافية. واللهجة التي يتاح لها التفوق على أخواتها في أمة من الأمم تصبح عاجلا أو آجلا اللغة الرسمية للدولة أي اللغة القومية أو اللغة الفصحى. (المصدر نفسه: ٦٥)

المبحث الثالث: نظرة القدامى إلى اللهجات العربية

هذه هي وجهة نظر المحدثين حول اللهجات العربية، لكن كيف كانت مناهج اللغويين القدماء في دراستها؟

من المعروف أن العرب كانوا أمة متفرقة إلى قبائل، حيث انتشرت هذه القبائل في مختلف أنحاء الجزيرة العربية، وكان لكل قبيلة استقلالها وكيانها الخاص، مما أدى إلى عزلتها. وقد ساهم هذا في ظهور اللهجات العربية القديمة. ومن المؤسف أن فترة تاريخ العربية قبل العصر الجاهلي شهدت إهمالًا ونسيانًا لعناصرها، خاصة فيما يتعلق باللهجات العربية، حيث لم تصل إلينا نصوص يمكن أن نعود إليها لتوضيح معالم هذا التاريخ. (الفاضل، ١٩٥٦، ١١)

وفي العصر الجاهلي تمسكت كل قبيلة بصفتها الكلامية في حديثها العادي، و في لهجات التخاطب، لكن الخاصة من الناس في تلك القبائل لجأوا إلى اللغة المشتركة في المواقف الجديدة، يخطبون بها و ينظمون الشعر بها، وينفرون من صفات اللهجات في مثل هذا المجال، حتى إذا عادوا إلى قبائلهم تحدثوا مع الناس في شؤونهم العامة بمثل لهجتهم، (بن جنى، ١٩٥٢، ١٩٥) هذا يعني أن اللغة لديهم تتكون من مستويين: مستوى اللهجات، التي تُستخدم كأداة للتفاهم بين أفراد القبيلة في شؤون حياتهم اليومية، ومستوى اللغة المشتركة، التي تُستخدم في المواقف الرسمية والجادة. ومن أمثلة ذلك حديث العربي عندما يجد نفسه أمام مجموعة من القبائل المختلفة في نادٍ أدبي أو في محفل للتقاضي أو في سوق للتجارة، وكذلك عند نظم الشعر أو إلقاء الحكم والأمثال. (انيس، ٨٧) وكان إتقان تلك اللغة موضع فخر بين رؤساء القبائل والخاصة من الناس. (مصطفى، ٢٣) وفي فترة التدوين، شهدت اللغة العربية ظهور علماء بارزين أخلصوا لها وقدموا جهودًا كبيرة لجمعها من مصادرها الموثوقة وفهم أسرارها. وحاول هؤلاء العلماء ضبط اللغة وتقعيدها، وبذلوا جهودًا مضنية ومتواصلة تستحق منا كل تقدير وإجلال. وقد أخذوا مادتهم اللغوية عن طريقين:

أولهما: الرحلة إلى البادية والاستماع إلى أهلها الذين سلمت ألسنتهم من اللحن لعدم اختلاطهم بالأعاجم وغيرهم من أبناء الأمم الأخرى. (حسن، ١٩٥٨، ٢٤)

وثانيهما: الأعراب الذين عدوهم فصحاء، وكانوا يفدون إلى البصرة والكوفة.

ركزت جهود هؤلاء العلماء على اللغة المشتركة (الفصحى)، وتجاهلوا أهمية اللهجات رغم خطورتها، مما أدى إلى إهمالها. ولم يُدوَّن عن اللهجات إلا القليل في كتب اللغة والأدب والتاريخ، وغالبًا ما جاءت المعلومات عنها مبتورة وغير مكتملة، حيث لم تكن سوى إشارات متناثرة لا تكفي لصياغة تاريخ أو فكرة

متكاملة. وعند تناولهم للهجات، لم يتسموا بالدقة في نقلها، إذ لم ينسبوا معظم اللهجات إلى قبائلها أو بيئاتها، بل اكتفوا أحيانًا بالإشارة إلى أنها "لغة بعض العرب". (الصاحبي، ١٩٦٤، ٥٢)

وهذا كتاب سيبويه، حيث تردد في ثناياه عبارات مثل:

وسمعناه ممن ترضى عربيته .... وناس من العرب يقولون .... وزعم لي بعض العرب .... وقالت العرب.. وسألنا العرب .... فهذا سمعناه من العرب. .... وهي لغة لبعض العرب ... وهي لغة ... كما قال بعض ...

وهي في مجموعها أقوال عامة لا تشير إلى قبيلة، ولا تحدد بيئة ولا ترقى إلى طموحات المحدثين في إسناد كل قول إلى لهجته ولو أن القدامى تنبهوا إلى هذا الأمر فعزوا اللهجة إلى قبيلتها لقدموا للعربية خدمة كبيرة تضاف إلى مآثرهم العديدة.

لاحظ القدماء في نقلهم عن القبائل أنهم يميزون بين قبيلة وأخرى، فينسبون الفصاحة إلى بعضهم وينكرونها على آخرين. وقد ذهبوا أبعد من ذلك، حيث فرَّقوا بين القبائل الفصيحة من حيث درجات الفصاحة، ورفضوا النقل عن القبائل النائية التي كانت تقع على حدود الجزيرة العربية، المجاورة لأمم أخرى. وقد عبر أبو نصر الفارابي عن هذا المنهج بقوله: "كانت قريش أجود العرب في انتقاء الأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعًا، وأوضحها في التعبير عما في النفس. والذين نقلت عنهم اللغة العربية واقتدى بهم هم قيس وتميم وأسد، إذ إن معظم ما أخذ من هؤلاء. وقد اتكلت في الغريب والإعراب والتصريف عليهم، ثم يأتي بعدهم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين. ولم يُؤخذ عن غيرهم من سائر القبائل، بشكل عام لم يُؤخذ عن الحضر أو سكان البراري الذين يعيشون في أطراف بلادهم المجاورة للأمم الأخرى، فلم يُؤخذ منهم لا من لخم ولا من جذام لمجاورتهم أهل مصر والقبط، ولا من قضاعة وغسان وأياد لمجاورتهم أهل الشام، حيث كان أكثرهم نصارى يقرؤون بالعبرانية. كما لم يُؤخذ من تغلب واليمن، لأنهم كانوا مجاورين لليونان، ولا من بكر المجاورة للقبط والفرس، ولا من عبد القيس وأزد عمان، حيث كانوا في البحرين مختلطين بالهند والفرس، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم، ولا من حاضرة الحجاز، لأن الذين نقلوا اللغة صادفوا هؤلاء أثناء شروعهم في نقل لغة العرب، وقد اختلطوا بأمم أخرى مما أدى إلى فساد ألسنتهم. (المرجع نفسه: ٥٤)

تأثر الرواة وعلماء اللغة بالقبائل التي تعيش في وسط الجزيرة العربية، حيث نسبوا إليها الفصاحة وإجادة القول، اعتقادًا منهم بأن اللحن لم يتسرب إلى لغاتها. ومن أشهر تلك القبائل التي نقل عنها معظم ما وصل إلينا من العربية الفصحى: قيس وتميم وأسد وهذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين. وقد استند منهجهم إلى فكرة أن الفصحى تمثل لهجات هذه القبائل، على الرغم من تعددها وامتداد الزمن بها.

ويلاحظ مما سبق أن العلماء قد أسسوا فصاحة القبيلة على دعامتين:

الأولي: قرب مساكنها من مكة وما حولها، وبعدها عن أطراف الجزيرة العربية ومخالطة الأمم الأخرى.

والثانية: تظهر مدى ارتباط اللغة بالبداوة من خلال اعتزازهم بلغة القبائل الحجازية بشكل عام، وقبائل نجد ووسط الجزيرة، بالإضافة إلى القبائل البدوية المتعمقة في الحياة البدوية. ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح في كتاب سيبويه، حيث أشار إلى القبائل التالية: الحجاز، تميم، أسد، فزارة، طيء، بكر بن ربيعة، قيس، هذيل، وبنو العنبر. ومعظم لهجاته كانت محصورة تقريبًا في هاتين الوحدتين الكبيرتين: الحجاز وتميم. ومع حلول القرن الرابع الهجري، بدأ الرواة وعلماء اللغة في توسيع نطاق النقل، وبرز بينهم من لم يميز بين قبيلة وأخرى في جواز الأخذ من أقوالهم والاحتجاج بها. ويعتبر ابن جني أحد أبرز هؤلاء العلماء، حيث خصص في كتابه "الخصائص" بابًا بعنوان "اختلاف اللغات" وأشار فيه إلى بعض الصفات المعروفة عن لهجات القبائل، موضحًا أن بعض هذه الصفات أكثر شهرة وشيوعًا من غيرها في اللغة، لكنه أكد أن جميعها يُعتد به. وأضاف قائلاً: "إن إنسانًا إذا استخدمها لم يكن مخطئًا في كلام العرب، ولكنه يكون مخطئًا بالنسبة لأجود اللغتين. وإذا احتاج إليها في شعر أو سجع، فإنه مقبول منه وغير ممنوع عليه.

يتبين مما سبق أن اللغة العربية، خلال عصر الاحتجاج حتى منتصف القرن الثاني الهجري بالنسبة للقبائل الحضرية، ومنتصف القرن الرابع الهجري بالنسبة للقبائل البدوية، قد تأثرت بشكل كبير بالقبائل المختلفة، حيث تضم تلك القبائل بعضًا من سكان المدن مثل مكة والمدينة، وأخرى من سكان البادية. ومن المعروف أن الحياة في المدن، بفضل زراعتها وتجارتها وحرفها، شهدت نوعًا من الاستقرار ورغد العيش، مما جعلها تختلف عن الحياة في البادية التي تتسم بالصعوبة وشظف العيش نتيجة التنقل المستمر والانعزال، حيث كان الناس ينشغلون بالرعي. كما أن اللغة تتأثر بالبيئة التي يعيش فيها الأفراد، وتنعكس عليهم أساليب حياتهم الاجتماعية. في كل بيئة لغوية توجد ظروف تؤدي إلى تطور الكلام وتغييره في العديد من الظواهر، بينما توجد ظروف أخرى تعمل على استقرار تلك الظواهر وتحصينها من التغيير. ومع ذلك، فإن العوامل التي تدفع نحو التطور تظل هي الغالبة، فلا تبقى اللهجة في كل مظاهرها على حال واحدة بعد مرور قرن أو قرنين، مما يفسر اختلاف نسبة التطور في اللهجات المختلفة. ففي بعض اللهجات، قد يكون التطور شديدًا ويشمل جميع جوانبها، بينما في لهجات أخرى قد يقتصر التطور على أمور معينة فقط.

وبذلك، فإن التطور الذي شهدته لغات القبائل المستقرة في المدن المتحضرة اختلف بلا شك عن ذلك الذي طرأ على لغات القبائل البدوية المتنقلة، حيث أن حياة الحضر تستدعي تحسين النطق واختيار العبارات بعناية، مع الحرص على الوضوح وتجنب اللبس. في المقابل، تميل حياة البادية إلى السرعة في النطق والإيجاز في الكلام، مما أدى إلى اختلاف واضح في اللهجات العربية. (حسن، ١٩٥٨، ٢٦)

حيث ويرى اللغويون المعاصرون أن جمع النصوص اللغوية من هذه اللهجات المتنوعة قد أسفر عن بعض الخلافات التي ظهرت آثارها في القواعد النحوية. وإذا اكتفى علماء اللغة بلغة القرآن الكريم ولغة

العصر الجاهلي، لكان بإمكانهم تجنب الكثير من القضايا الخلافية في تأويلاتهم، مما قد يبعدها عن الفهم الدقيق للظاهرة اللغوية. إلا أن اعتمادهم على لهجات من مناطق مختلفة، بما في ذلك القبائل الست المذكورة، كان له تأثير واضح على وضع القواعد النحوية. (السامرائي، ١٩٧٨، ٢٦٢)

من ناحية أخرى، يرى المحدثون أن الفترة الزمنية التي اعتمد عليها القدماء في جمع النصوص كانت طويلة جدًا، حيث شملت عصر الجاهلية وصدر الإسلام والعصر الأموي وجزءًا من العصر العباسي. وخلال هذه المدة، كانت اللغة عرضة للتطور في مختلف مستوياتها الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية. وبالتالي، كان من الأفضل الاقتصار على عصر واحد، إذ أن لكل فترة سماتها المميزة في جميع الجوانب اللغوية. بناءً على هذا، انتقد الدكتور تمام حسان القدماء بسبب اضطراب منهجهم من ناحيتين:

الأولي: شمول دراستهم لمراحل متعاقبة من تاريخ اللغة العربية تبدأ من حوالي مائة وخمسين عاما قبل الإسلام وتنتهي بانتهاء ما يسمونه عصر الاحتجاج وفي هذه الحقبة لا تظل اللغة ثابتة على حالها بل تتطور من نواح مختلفة.

الثانية: خلطهم بين لهجات مختلفة ومحاولة إيجاد نحو عام لها جميعا. (الموسى، ١٩٧٦، ٢٠٩)

المبحث الرابع: اختلفت آراء علماء العربية قدامى ومحدثين في نظرتهم إلى العربية المشتركة ولهجاتها:

رأى القدماء أن العربية المشتركة هي لغة قريش، معتبرين أن قريشًا كانت أفصح العرب وأصفاهم لغة، نظرًا لأنهم سكنوا بجوار البيت العتيق. وقد منحهم هذا الجوار سلطة روحية وأدبية مميزة. وكانت الوفود تأتي من مختلف القبائل العربية، فيختارون من لغاتها ما يتوافق مع طباعهم ويعتبرونه صورة راقية من الفصحى، متجنبين الظواهر اللهجية البسيطة. وبهذا، أصبحت لغتهم خالصة من الشوائب اللهجية، يقول أبو الحسين أحمد بن فارس (ت: ٩٤١م): (المرجع نفسه: ٥٤) أجمع علماؤنا من مختلف فئاتهم، بما في ذلك الرواة لأشعار العرب والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومناطقهم، على أن قريشًا كانت أفصح العرب وأصفاهم لغة. ويعود ذلك إلى أن الله جل ثناؤه اختارهم من بين جميع العرب واصطفاهم، حيث اختار منهم نبي الرحمة محمدًا صلى الله عليه وسلم، وجعل قريشًا سكان حرمه وجيران بيته الحرام. ومع فصاحتهم وجمال لغاتهم ورقة ألسنتهم، كانوا عند قدوم الوفود من العرب يختارون من كلامهم وأشعارهم ما يعد أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم. وبهذا، اجتمع ما اختاروه من تلك اللغات مع نزعاتهم وطبائعهم التي نشأوا عليها، مما جعلهم أفصح العرب". (صموا، ٨١)

ونقل السيوطي (ت: ٩١١م) عن أبي نصر الفارابي قوله: (كانت قريش أجود العرب انتقادا للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعا وأبينها إبانة عما في النفس) (السيوطي، ٢١١)

نُقل عن الفراء (ت: ٨٢٢م) قوله في هذا السياق: "كانت العرب تحضر الموسم كل عام وتحج البيت في الجاهلية، وكانت قريش تستمع إلى لغات العرب، فما استحسنوه من تلك اللغات تكلموا به، مما جعلهم أفصح العرب، وخلت لغتهم من الألفاظ المستهجنة." وتُظهر هذه الأقوال من القدماء إجماعهم على فصاحة قريش والمكانة الرفيعة التي نالتها لهجتهم بفضل ما تمتعوا به من رقة اللسان وابتعادهم عن الألفاظ الغريبة، بالإضافة إلى ما اختاروه من لهجات القبائل الأخرى. (الهاشمي، ١٩٧٤، ٣٤)، (الاشموني، ١٩٥٥، ١٧١)، (الحضري، ١٦٥)

أما تأثر لهجة قريش بغيرها من لهجات القبائل نتيجة هذا الاتصال المستمر فأمر مسلم به في الدراسات اللغوية الحديثة حيث إن احتكاك اللهجات بعضها ببعض يقرب الشقة فيما بينها ويذيب الفوارق اللهجية، ويؤدي في النهاية إلى أن تتغلب إحدى هذه اللهجات على شقيقاتها متى أتيحت لها الظروف، كما يؤدي إلى أن تترك هذه اللهجات بصماتها في اللهجة الغالبة، لكننا في الوقت نفسه لا نستطيع أن نوافق القدماء على اندفاعهم في كلمتهم بأن لهجة قريش أفصح اللهجات العربية إذ أن المفاضلة بين اللهجات لا تتفق مع وجهة النظر اللغوية الحديثة. (القاسمي، ١٩٧٥، ٨٨)

وقد سار مجموعة من المحدثين على نهج علماء العربية القدماء، حيث اعتبروا لهجة قريش في مرتبة عالية ومنحوها السيادة على سائر اللهجات العربية، بفضل ما تميز به أهلها من ثقافة وجاه وسلطة، وما اكتسبوه من عناصر لغوية أثرت في غناها.

لذا، فإنها تُعتبر عندهم اللغة الفصحى التي نظم بها الشعر وأُلقيت الخطب في المحافل والمجتمعات، وهي لغة القرآن الكريم والحديث والآثار الدينية والأدبية والعلمية. (عبد التواب، ١٩٨٣، ٧)

ومن بين الذين تبنوا هذا الاتجاه الدكتور علي عبد الواحد وافي، الذي أشار إلى تفوق لهجة قريش في تواصلها مع اللهجات العربية، حيث اعتبر أن لهجة قريش كانت أوسع اللهجات العربية من حيث الثروة اللغوية، وأغزرها مادة، وأرقها أسلوباً، وأقربها إلى الكمال، وأكثرها قدرة على التعبير في مختلف فنون القول. وقد تحقق ذلك بفضل ما توفر لأهلها من وسائل الثقافة والتقدم، فضلاً عن الفرص المتعددة للاحتكاك بمختلف اللهجات العربية، مما أضفى على لهجتهم عناصر زادت من ثرائها وسدّت ما كان ينقصها في بعض مجالات التعبير. ويضيف وافي قائلاً: "نتيجة لتفوق لهجة قريش على بقية اللهجات العربية، أصبحت لغة الآداب بين جميع قبائل العرب، حيث نُظم بها الشعر، وأُلقيت الخطب، وتم تبادل الحكم والأمثال، وتدوين الرسائل، وعقد المفاوضات بين الوفود، وتبارز الأدباء، وإجراء المناقشات في النوادي والمؤتمرات في مختلف مناطق العرب وقبائلهم، وقد تحقق ذلك قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم بفترة ليست بالقصيرة. (وافي، ١٩٦٧، ١٠٦)

ويسلك الدكتور حسن عون طريقا مماثلا فيقول:

منذ أن نهضت قريش في أرض الحجاز وبدأت تتفوق على القبائل الأخرى وتتولى زمام القيادة في الدين والسياسة والاقتصاد، بدأت لهجتها تهيمن على اللهجات الأخرى وتتفوق عليها. وقد أسهمت هذه اللهجة في إضفاء الطابع الرسمي على العديد من الآثار الدينية والأدبية والعلمية، وهي كذلك اللغة التي نُزل بها القرآن الكريم، وأُلقيت بها الأحاديث، وشُيد بها الأدب العربي (عون، ١٩٥٢، ٤٢)، (عبد التواب، ١٩٨٢، ١١).

لا يمكننا الاعتماد على مثل هذه الأقوال التي تفيد بأن لهجة قريش هي الوحيدة التي تمثل لغة القرآن والحديث والأدب. كما أشرنا سابقًا في حديثنا عن نشأة اللغات المشتركة، فإن هذه اللغات، رغم أنها في بدايتها قد استندت إلى لهجة معينة سادت لأسباب اجتماعية واقتصادية وثقافية، إلا أنها مع مرور الوقت تصبح ملكًا للجميع، ويفقد الناس الذاكرة عن جذورها الأصلية. عندما تنتشر هذه اللغة بين الجماعات اللغوية المختلفة، تكتسب المزيد من العناصر المشتركة، وتزداد الصفات التي تستعيرها من اللهجات المحلية، مما يجعلها تُنسى كدلالة على منطقة أو بيئة محددة. (التهامي، ١٩٧٨، ١١)

بذلك، فإن اللغة العربية المشتركة، رغم أنها نشأت في البداية من لهجة قريش، إلا أنها تطورت على مر الزمن لتكتسب خصائص لغوية من قبائل عربية متنوعة نتيجة لتواصل قريش مع هذه القبائل في مناسبات مختلفة. لم تعد اللغة المشتركة تعكس لهجة قريش فحسب، بل أصبحت مزيجًا متناغمًا من اللهجات العربية. لنأخذ مثالًا على ذلك: من الحقائق المعروفة في دراسة اللهجات العربية القديمة أن ظاهرة النبر، أي تحقيق الهمز، كانت سمة بارزة لدى قبائل وسط الجزيرة وشرقيها (مثل تميم وما حولها). بينما عدم النبر، أي تسهيل الهمز أو تخفيفه، كان صفة حضرية تميز لهجات القبائل في شمال الجزيرة وغربها (مثل قريش وبعض القبائل الحجازية). وقد أشار ابن منظور إلى ذلك في روايته، حيث قال: "قال أبو زيد: أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون. وقف علينا عيسى بن عمر فقال: ما أخذ من قول تميم إلا بالنبر، وهم أصحاب النبر، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا" (بن منظور، ١٩٦٨، ٢٤٢)

قال: "وقال أبو عمر الهذلي: قد توضيت فلم يهمز وحولها ياء وكذلك ما أشبه هذا من باب الهمز. (انيس، ٨٧).

يفهم من العبارة السابقة أن لهجة تميم تعتمد على تحقيق الهمز، بينما لهجة قريش تميل إلى تسهيله. وقد أخذت العربية المشتركة من لهجة تميم تحقيق الهمز، وأصبح من الضروري على العرب، بغض النظر عن قبائلهم، الالتزام بتحقيق الهمز في الأساليب الجادة من القول، سواء في الشعر أو الخطابة أو النثر، حتى القبائل الحجازية. فرغم أنها تميل إلى تسهيل الهمز في لهجاتها اليومية، إلا أنها تلتزم بتحقيقه في الأساليب الأدبية. وهذا ما أشارت إليه الرواية عندما قالت: "وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا". وقد علق الدكتور إبراهيم أنيس على هذه الرواية بقوله: "ليس لهذا الاضطرار من معنى سوى أنهم كانوا يهمزون حين يلجأون إلى اللغة النموذجية وفي المجال الجدي من القول" (انيس، ٩)

المبحث الخامس: أسباب اختلاف اللهجات

تميز الجاحظ عن سابقيه بتسليط الضوء على أسباب تكوّن اللهجات، والتي تشمل: اتساع الرقعة الجغرافية، احتكاك لغة بأخرى، وتنوع طبقات المجتمع. وقد أوضح الجاحظ تأثير هذه الأسباب في انقسام اللغة إلى لهجات، حيث أشار إلى ذلك بقوله: "وإن ذكرتم اختلاف اللغات، فإن لغة عجز هوازن قد تختلف، والأصل واحد. (البيضان، ١٩٦٤، ٢١١)

وكان الجاحظ مدركًا تمامًا للقضايا اللغوية وما يرتبط بها من آثار اجتماعية ولغوية. ومن أبرز مظاهر ذلك إشارته إلى وحدة اللغة العربية في جميع أنحاء الجزيرة، واعتبارها تمثل بيئة لغوية شاملة، على الرغم من وجود بيئات صغيرة أو كبيرة داخل هذه البيئة (عبده، ١٩٧٣، ٨٠)، (الراجحي، ١٩٧٩، ٤٩) تمثلها تلك اللغات أو الصفات الأدائية المختلفة التي اصطلح المحدثون على تسميتها اليوم باللهجة وكان الجاحظ في هذه القضايا يقول:

قال الخواص الخلص إن العرب يشكلون وحدة واحدة، فالدور والجزيرة واحدة، وكذلك الأخلاق والطبائع، واللغة واحدة. وهناك روابط من التصاهر والتداخل والتوافق في الأخلاق والأعراق، بالإضافة إلى القرابة المشتركة والعمومة المتشابكة. كما أن هناك مناسبات تنبع من طبيعة الأرض وتأثيرات الهواء والماء، مما يجعلهم في جوهرهم واحدًا من حيث الطبيعة واللغة والنية والسمات والمراعي والصناعات والرغبات." . (البيان والتبيين (٣/٢٩١).)

وأيضا كان الجاحظ مدركا لتلك المظاهر اللهجية التي تفرق بين لهجة وأخرى عارفًا بمظاهر اللغة النموذجية التي ارتضاها العرب وقبلوا أن تتمثل فيما يسمى بلغة قريش.(البيان والتبيين (٣/٢١٢) وما بعدها)

ويقول الدكتور عيد محمد الطيب في ذلك: ولو كان الغرض هو البيان لكانت قريش أولى بهذا البيان " (الطيب، ١٩٩٤، ١٢)، ومثال ذلك إدراك الجاحظ أثر اختلاف اللهجات العربية في تكوين لغات الأمصار الإسلامية وبيئتها اللغوية.

وقد شرح هذا ووضحه حيث يقول: "وأهل الأمصار إنما يتكلمون على اللغة النازلة فيهم من العرب، ولذلك تجد الاختلاف في ألفاظ أهل الكوفة والبصرة والشام ومصر ". ويدعم الجاحظ فكرته بأمثلة إضافية حول تأثير اللغات الأخرى على العربية، مشيرًا إلى بعض المفردات الفارسية التي دخلت لغات أهل المدينة والكوفة والبصرة نتيجة للاختلاط الثقافي. يقول الجاحظ: "إذا اعتبرنا لغة أهل البصرة، التي تقع بالقرب من أدنى بلاد فارس وأقصى بلاد العرب، سيكون ذلك أقرب إلى الواقع، حيث أن أهل الكوفة استقروا في أدنى بلاد النبط وأقصى بلاد العرب .

يتضح من هذا النص أن الجاحظ أشار إلى أن اختلاف اللغات (أو اللهجات) يعود إلى اتساع البيئة وتباعدها، مما يؤدي إلى انعزال بعضها عن بعض. وقد ناقش العديد من العلماء الذين جاءوا بعد الجاحظ هذه الفكرة وعمقوا فهمها، من بينهم ابن حزم الأندلسي الذي توفي في عام ٤٥٦ هـ. حيث قدم

أمثلة توضح تأثير عامل الزمن في هذا الاختلاف، قائلاً: "عندما يتعرب البربري ويريد أن يقول 'محمدًا'، قد يُبدل من العين والحاء هاء فيقول 'مهمدًا'. ومن خلال هذه الملاحظة، نجد أن من يتأمل العربية والعبرانية والسريانية يدرك أن اختلافها إنما هو نتيجة لتبديل ألفاظ الناس عبر الزمن واختلاف البلدان ومجاورة الأمم، وأنها في الأصل لغة واحدة" (الافغاني، ٢٧)،

اتبع العديد من المحدثين المعاصرين نهج أسلافهم، وعلى رأسهم الجاحظ، في هذه الفكرة، ومن بينهم عبده الراجحي الذي تبنى نفس الآراء التي طرحها الجاحظ. (الراجحي، ١٩٧٩، ٧٣)

وزاد هؤلاء المحدثون هذه القضية توضيحا ويمثلهم المرحوم علي عبد الواحد وافي حيث ذكر عدة عوامل تؤدي بدورها إلى تعدد اللغة إلى لهجات فيما يلي:

١. عوامل اجتماعية وسياسية، عوامل اجتماعية نفسية، عوامل اجتماعية جغرافية، عوامل اجتماعية ثقافية، وعوامل اجتماعية جسمية. (وافي، ١٩٧٩، ١٧٥)

٢. تميز الجاحظ عن سابقه ببيان تأثير احتكاك لغة بلغة أخرى، موضحًا كيف يسهم ذلك في تنوع اللهجات. وقد ربط الجاحظ نشأة الترادف باختلاف اللهجات، مشيرًا إلى ذلك من خلال تجارب واقعية أثناء حديثه عن افتخار كل منطقة من العرب بلهجتها. فقال: "حدثني أبو سعيد عبد الكريم بن زوح، قال: قال أهل مكة لمحمد بن المناذر الشاعر (بن يربوع، ١٨)، فمعاشر أهل المدينة يتكلمون لغة فصيحة إنما الفصاحة لنا أهل مكة، فقال ابن المناذر: أما ألفاظنا فأحكى الألفاظ للقرآن وأكثرها له موافقة فضعوا القرآن بعد هذا حيث شئتم أنتم تُسمون القدر برمة وتجمعون البرمة على برام ونحن نقول قدر ونجمعها على قدور، قال الله تعالى: **(وجفان كالجواب وقدور راسيات)** (سورة سبأ: ١٣).

الترادف اللغوي هو ظاهرة لغوية تشير إلى وجود عدة كلمات تحمل معاني متقاربة أو متطابقة. نشأة الترادف تختلف باختلاف اللهجات والبيئات اللغوية، حيث إن لكل لهجة خصائصها الخاصة التي تتأثر بالعوامل الاجتماعية والثقافية.

الترادف في اللهجات تظهر ظاهرة الترادف بشكل واضح في اللهجات العربية المختلفة. فمثلاً، قد نجد في اللهجة المصرية كلمة "عربية" وكلمة "سيارة"، بينما تستخدم اللهجات الأخرى كلمات مثل "مركبة" أو "عجلة". هذا الاختلاف يعكس التنوع الثقافي والبيئي بين المجتمعات.

البيئة اللغوية الواحدة في بعض الأحيان، قد يظهر الترادف داخل بيئة لغوية واحدة. على سبيل المثال، في اللغة العربية الفصحى، نجد كلمات مثل "كتاب" و"مؤلف" تستخدم للإشارة إلى نفس المعنى، لكنها قد تُستخدم في سياقات مختلفة. هنا، يكون الترادف ناتجًا عن تطور اللغة نفسها.

البيئات اللغوية المتعددة على الجانب الآخر، يمكن أن ينشأ الترادف في بيئات لغوية متعددة. فعندما تنتقل الكلمات بين الثقافات المختلفة، قد تظهر مرادفات جديدة. على سبيل المثال، استعارة كلمات من لغات أجنبية قد تؤدي إلى وجود مرادفات جديدة في اللهجات المحلية.

العوامل المؤثرة في نشأة الترادف

تتأثر نشأة الترادف بعدة عوامل، منها التاريخية والثقافية. تداخل الثقافات، الحروب، والهجرات تسهم في إدخال كلمات جديدة تحمل معاني مشابهة، مما يؤدي إلى زيادة الترادف. كما أن وسائل الإعلام الحديثة تساهم في نشر اللهجات والكلمات بين المجتمعات.

فمن هنا يمكن القول إن الترادف هو ظاهرة لغوية غنية تعكس التنوع الثقافي واللغوي. سواء كان في بيئات لغوية واحدة أو متعددة، فإن الترادف يساهم في إثراء اللغة ويعكس التفاعل بين المجتمعات المختلفة

(أنيس، ١٩٦٥، ٥٩).

المبحث السادس: عناصر اختلاف اللهجات

(١) الهمز والتسهيل

قام سيبويه بدراسة هذه الظاهرة من خلال السماع عن العرب، حيث يقول: "اعلم أن الهمزة تتواجد في ثلاثة أشكال: التحقيق والتخفيف والبدل. فالمعروف هو التحقيق، أما البدل فهو تحويل الهمزة إلى حرف لين يتناسب مع حركتها، وأما التخفيف فيتمثل في تحويلها إلى همزتين." (سيبوبة/ ٥٤١)،

ولم يقتصر سيبويه على دراسة الهمزة المفردة من حيث التحقيق والتخفيف والبدل، بل وسع مفهومه ليشمل معالجة حالتي التقاء همزتين، بحيث تكون كل واحدة منهما من كلمة مختلفة. حيث يقول: "اعلم أن همزتين إذا التقتا وكانت كل واحدة منهما من كلمة، فإن أهل التحقيق يقومون بتخفيف إحداهما ويستثقلون تحقيقهما معًا، كما استثقل أهل الحجاز الهمزة الواحدة. لذا، ليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان وتتحقق كلتاهما (المرجع نفسه: ٥٤٩)

حث امتد تفكير سيبويه ليشمل تفسير سبب تخفيف الهمزة عند أهل الحجاز من خلال النظر إلى الوظيفة الفسيولوجية لأعضاء النطق. حيث يقول: "اعلم أن الهمزة تُخفف عند من لا يُحققها بسبب صعوبة مخرجها، فهي تُخرج باجتهاد وتعتبر من أكثر الحروف بُعدًا في مخرجها، مما يجعلها ثقيلة عليهم، إذ إن ذلك يشبه التهيج" (المرجع نفسه: ٥٤٩)

وبعد ذلك ينتقل سيبويه إلى بيان تحقيق الهمزة عن بعض قبائل الحجاز واصفا هذا الأداء بالرداءة بقوله: "قد بلغنا أن قوما من أهل الحجاز من أهل التحقيق يحققون شيء بريئة وذلك قليل ردائي " (المرجع نفسه: ٥٥٥) ومن ذلك نفهم أن سيبويه يريد بأهل التحقيق بعض القبائل المتحضرة في الحجاز. (المرجع نفسه: ٥٥٦)

أما بالنسبة لشيخنا الجاحظ، فقد سار على نهج سيبويه في هذا الموضوع، حيث أشار إلى تحقيق الهمزة في كلمات محددة، ناقلاً ذلك عن أبي عبيدة الذي قال: "هناك أربعة أحرف تُهمزها عقيلبين جميع العرب يقولون فأرة ومؤس. (المرجع نفسه: ٣٠٧)

وقد اتبع المحدثون نهج أسلافهم، خاصةً سيبويه، في تناول هذه القضية، حيث أشاروا إلى العلة وراء تخفيف الهمزة. ومن هؤلاء الدكتور إبراهيم أنيس، الذي رأى أن تسهيل الهمزة يعود إلى تجنب ثقل النطق بها، إذ تتطلب مجهودًا عضليًا أكبر. (انيس، ٩١)

مما سبق، نلاحظ أن سيبويه والجاحظ نسبا تحقيق الهمزة إلى القبائل البدوية، بينما نسبا التخفيف إلى أهل الحجاز. وقد أضاف بعض المحدثين، مثل الدكتور إبراهيم أنيس، مزيدًا من التوضيح لهذه الفكرة، حيث استبعد أن يكون تسهيل الهمزة سمة من سمات القبائل الحجازية، التي عُرفت بالتأني في الأداء، ولم يُشهر عنهم في بعض الظواهر الأخرى مثل الإدغام أو الإمالة. (المرجع نفسه: ٦٠٩)

(٢) الإبدال: الكشكشة

الإبدال هو تغيير يحدث في حرف آخر غير حروف العلة والهمزة، مثل تغيير "اصتبر" إلى "اصطبر" بإبدال التاء طاء، وتغيير "ازتهر" إلى "ازدهر" بإبدال التاء دالًا، وغيرها من الأمثلة.

ويعتقد بعض علماء الصرف أن الإبدال هو تغيير يحدث في أي حرف، وبالتالي يمكن أن ينطبق الإبدال على مواضع الإعلال. ومع ذلك، فإن الإبدال يُعتبر أعم من الإعلال.

أما الجاحظ، فقد تناول هذه المسألة في إطار حديثه عن ظاهرة "الكشكشة". وقبل مناقشة الكشكشة وما دُوِّن حولها بين اللغويين، من الضروري أن نتعرف على معناها من الجوانب المعجمية والاصطلاحية.

والكشكشة من الناحية المعجمية ورد في القاموس: كَشِيْشُ الأفعى: صوتها من جلدها لا من فيها ومن الحمل أول هَدِيره وهو دون الكب، ومن الشراب صوت غليانها ومن الزَّنْدِ صوت خوار عند خروج النار والكشكشة في بني أسد أو ربيعة إبدال الشين من كاف الخطاب للمؤنث كعليش في: عليك أو زيادة شين بعد الكاف المجرورة تقول: عليكش! ولا تقول: عليكش بالفتح، وقد حكي أن أعرابية نادت جارية لها: تعالي إلى مولاش يناديش!

يتبين من ذلك أن "الكشكشة" من الناحية المعجمية تشير إلى الصوت الذي يحدث عند احتكاك الجلد ببعضه البعض (الاكرت، ١٩٩٨، ١٢٧)

أما "الكشكشة" بالمعنى الاصطلاحي لدى علماء اللهجات، فهي تعني إبدال كاف الخطاب للمؤنثة بشيء آخر عند الوقف، أو إضافة شين بعد الكاف، مع وجود اختلاف بين العلماء حول ذلك، كما سنوضح لاحقًا. إطلاق لقب "الكشكشة" على هذه اللهجة يشير إلى مدى تذوق وحس اللغويين القدامى، حيث كانوا يعتبرون أن الكاف أو الشين لم يكونا حرفين منفصلين بل مركبين من حرفين. وبالتالي، يمكننا أن نستنتج أن الكشكشة تعني إبدال كاف المخاطبة بشيء آخر عند الوقف.(نفس المرجع والصفحة) ومن ذلك سنجد اختلافا بين أهل اللغة في وصف هذه اللهجة وفي نسبها إلى أي القبائل وخاصة عند الجاحظ.

نسب الخليل هذه الظاهرة إلى قبيلة ربيعة، حيث وصفها بأنها تتمثل في زيادة الشين بعد كاف التأنيث أو إبدال كاف التأنيث بشيء آخر لذلك أمثلة فيما يلي:

زيادة الشين بعد كاف التأنيث حيث يقول: الكشكشة لغة ربيعة يقولون عند كاف التأنيث عليكش وبكش بزيادة شين وإبدال كاف التأنيث شينًا في حالة الوقف حيث يقول: قال الشاعر:

لو حرشت لكشفت عن حرشي * عن واسع يغيب فيه القنفرش

اتبَعَ سيبويه نهج شيخه الخليل في هذا السياق، لكنه أضاف توضيحات إضافية حيث أشار إلى أن هذه الظاهرة تنتسب إلى قبائل معينة بقوله: "فأما الكثير من تميم وبعض من أسد، فإنهم يستبدلون الشين بكاف التأنيث، لأنهم أرادوا تحقيق البيان في حالة الوقف، حيث تكون الكاف ساكنة. لذا، رغبوا في التفريق بين المذكر والمؤنث، واعتبروا أن الفصل بحرف يكون أقوى من الفصل بحركة. لذلك، استخدموا حرفًا يكون قريبًا من الكاف من حيث الخصائص، حيث إن كلا الحرفين مهموسان، كما في قولهم: انش ذاهبة ومالش ذاهبة"، تريد: إنك ومالك". وقوم يلحقون الشين ليبينوا بها الكسرة في الوقف كما أبدلوها مكانها للبيان وذلك كقولهم: أعطتكش وأكرمكش فإذا وصلوا تركوها (سيبوية، ٢٠٠)

وأما عن شيخنا الجاحظ فقد سار على نهج سيبويه في نسبة ظاهرة الكشكشة ووصفها حيث ذكر مشيرًا إلى ذلك بقوله: "وقال أعرابي من بني تميم:

تسخر مني إن رأتني أحترش * ولو حرشت لكشفت عن حرش "

من خلال هذا النص، يتبين أن الجاحظ نسب هذه الظاهرة إلى بني تميم، مشيرًا إلى إبدال الكاف شينًا في حالة الوقف. كما تأثر الذين جاءوا بعد الجاحظ بأسلافهم في معالجة هذه الظاهرة، ولكنهم تميزوا عنهم بتوسيع نطاقها. ومن بين هؤلاء ابن جني، الذي لم يقتصر على ذكر قلب الكاف شينًا في حالة الوقف فقط، بل أشار أيضًا إلى قلبها شينًا في حالة الوصل. كما تناول أيضًا قلبها شينًا في غير المؤنث، مثبتًا ذلك من خلال الشواهد المروية عن العرب، وأيضا ينسبها ابن جني لربيعة، وأما ابن يعيش فنسبها إلى أسد وتميم

وأيضًا ذهب ابن فارس مذهب سيبويه ولكنه لم يقيدها بالوقف فقال: "وأما الكشكشة فقال قوم: إنهم يبدلون التي في أسد الكاف شينًا فيقولون عليش بمعنى عليك وينشدون:

فعيناش عيناها وجيدش جيدها * ولونش إلا أنها غير عاطل.

وقال آخرون: بل يصلون بالكاف شينًا فيقولون: عَلَيْكَ "

أما المبرد، فقد اعتبر أن إبدال كاف المؤنث شينًا يحدث في حالة الوقف فقط، حيث قال: "وحدثني من لا أستطيع إحصاءه من أصحابنا عن الأصمعي، عن شعبة، عن قتادة، قال: قال معاوية يومًا: من أفصح الناس؟ فقام رجل من السماط، فقال: قوم تباعدوا عن فراتية العراق، وتيامنوا عن كشكشة تميم، وتياسروا عن كسكسة بكر، وليس فيهم غمغمة قضاعة، ولا طمطمانية حمير. فقال له معاوية: من أولئك؟ فقال: قومي يا أمير المؤمنين. فسأله معاوية: من أنت؟ فقال: أنا رجل من جرم. فقال الأصمعي: وجرم من فصحاء الناس.

قوله: "تيامنوا عن كشكشة تميم" يشير إلى أن بني عمرو بن تميم، عندما يُذكر كاف المؤنث، يقومون بإبدالها شينًا عند الوقوف عليها، نظرًا لقرب مخرج الشين من الكاف ولأن كليهما مهموس. وكان هدفهم من ذلك هو تحقيق البيان في حالة الوقف، حيث إن الشين يُظهر التفشي. فيقولون للمرأة: "جعل الله لك البركة في ويحك مالش"، والتي يدعونها "دارش"، حيث يبدلون كاف المؤنث بشيء آخر عند الوقوف. (الكامل، ٢٢٣)

وأما الجوهري فوصفها بأنها إبدال الكاف دون تحديد لها فقال: "كشكشة بني أسد إبدال الشين من كاف الخطاب للمؤنث كقولهم: عليش وبش في عليك وبك في موضع التأنيث ". (الجوهري، ١٣٩٩، ٤٧٥)

ومن خلال ما سبق، نجد أن الشواهد متعددة ولا تقتصر على حالة واحدة، حيث لم يتفق العلماء على حالة معينة. لذلك، يقول ابن جني: "ومن العرب من يبدل كاف المؤنث شينًا في حالة الوقف حرصًا على البيان، لأن الكسرة التي تدل على التأنيث قد تخفى في الوقف، مما دفعهم إلى الحرص على توضيح ذلك من خلال الإبدال، فقالوا: عليش ومنش ومررت بش، ومنهم من يجري الوصل مجرى الوقف فيبدل فيه أيضًا وأنشدوا للمجنون:

فعيناش عيناها وجيدش جيدها * سوى أن عظم الساق منش دقيق

وقرأت على أبي بكر محمد بن الحسن عن أبي العباس أحمد بن يحيى بعضهم:

علي فيما ابتغى أبغيش * بيضاء ترضيني ولا ترضيش

وتطبي ود بين أبيش * إذا دنوت جعلت تنئيش

وإن نأيت جعلت تُدنيش * وإن تكلمت حَنَّت في فيش

حتى تصبح كأنها صوت الديك، حيث شبّه كاف "الديك" لكسرتها بكاف ضمير المؤنث. ومن أمثالهم: "إذا أعياش جاراتش فاقبلي على ذي بيتش"، وربما أضافوا شينًا على الكاف في حالة الوقف حرصًا على البيان أيضًا، فقالوا:

مررت بكش وأعطيتكش فإذا وصلوا حذفوا الجميع.(سر صناعة الإعراب (١/١٨٨).)

أما بعض اللغويين المحدثين، فيرون أن القول بتحويل الكاف شينًا في الوقف للبيان يُضعف في سياق الموقف والمقام، إذا كان هذا الموقف يتعلق بالخطاب.(الدكتور عيد الطيب، لهجات العرب (ص١١))

من كل ما سبق، يتضح أن هذه الظاهرة اللهجية ظهرت لدى القبائل التي نسبت إليها، حيث قامت تلك القبائل بتحويل الكاف شينًا تماشيًا مع بيئتها ولغتها. وقد تم نسب هذه اللهجة إلى عدة قبائل، فالخليل نسبها إلى ربيعة، بينما أشار تلميذه سيبويه إلى أنها تعود لناس كثير من تميم وأسد. كما نسبت الجاحظ إلى تميم، وابن جني إلى ربيعة، بينما أشار ابن فارس إلى أسد، ونسبها ابن يعيش إلى أسد وتميم، والثعالبي في "فقه اللغة" (الثعالبي، ١٤٠٤هـ، ١٢٦) لتميم والسيوطي إلى ربيعة ومضر في المزهر (السيوطي، ١٩٨٧، ٢٢١) ونسبها الصيرافي إلى بكر بن وائل. (الجندي، ٣٥٩)

الخاتمة

لقد وصل علماء اللغة العربية القدماء إلى مستوى متقدم من التنظير في دراساتهم اللغوية من خلال تقديم ملاحظات وآراء حول اللغة كظاهرة إنسانية عامة. ولم يقتصر ذلك على كتب النحو والصرف والمعاجم فحسب، بل شمل أيضًا مصادر وكتب أخرى مثل كتب إعجاز القرآن وبلاغته وتفسيره، وكذلك أصول الفقه وعلم الكلام والفلسفة، مما يعكس وجودهم في التراث غير اللغوي. وتساهم هذه الملاحظات والآراء مجتمعة في تشكيل نظرية عامة عن اللغة كظاهرة إنسانية شاملة.

يسعى هذا البحث إلى استعراض بعض هذه الظواهر من خلال تسليط الضوء على علم اللغة الاجتماعي، خاصة فيما يتعلق باللهجات وأسباب اختلافها وعناصرها. ومن الأسباب التي تؤدي إلى اختلاف اللهجات اتساع الرقعة الجغرافية، واحتكاك لغة بأخرى، وتنوع طبقات المجتمع. أما عناصر اختلاف اللهجات فتشمل الهمز، والتسهيل، والإبدال، وتعدد الألفاظ للدلالة على المعنى الواحد (الترادف).

نتائج البحث

لقد وصل علماء اللغة العربية القدماء إلى مستوى متقدم من التنظير في دراساتهم اللغوية، حيث قدموا ملاحظات وآراء تتعلق باللغة كظاهرة إنسانية عامة. ولم تقتصر هذه المساهمات على كتب النحو والصرف والمعاجم فقط، بل امتدت أيضًا إلى مصادر وكتب أخرى مثل كتب إعجاز القرآن وبلاغته وتفسيره، بالإضافة إلى أصول الفقه وعلم الكلام والفلسفة. أي أن هذه الملاحظات والآراء ظهرت في التراث غير اللغوي، وساهمت مجتمعة في تشكيل نظرية عامة عن اللغة بوصفها ظاهرة إنسانية شاملة. (خليل، ٢٠٠٣، ١٥٤)

References

1. .Hoda Salah Rashid Al-Takriti, 2015, Inclination in the dialect of the city of Tikrit, Tikrit University, College of Arts, Iraq, pp. 64-82.
2. Iyad Saleh Alawi Khadr, 2005, Explanation of the Parsing of the Preamble of the Misbah, Tikrit University, p. 2.
3. See: Dr. Ibrahim Anis in Arabic Dialects (Cairo: Anglo-Egyptian Library, 1965 AD), and see also Dr. Ramadan Abdel Tawab, Chapters in Philology (Cairo: Dar Al-Turath, 1977 AD (
4. Dr. Abdel Sabour Shaheen in General Linguistics (Cairo: Al-Resala Foundation (1980 AD ((
5. Teaching the Language, translated by Abdul Hamid Al-Dawakhili and Muhammad Al-Qassas (Cairo: Egyptian Anglo Books, 1950 AD(
6. Johnston, Studies in the Dialects of Eastern Arabia, translated by Dr. Ahmed Al-Dubaib (Riyadh: Deanship of Library Affairs, King Saud University, 1975 AD (
7. Ghaleb Fadel Al-Muttalabi, The Tamim Dialect: Its Impact on Standard Arabic (Baghdad: Ministry of Culture and Arts, 1978 AD (
8. Dr. Ibrahim, Anis in Arabic Dialects, Johann Fak Al-Arabiya, translated by Dr. Ramadan Abdel Tawab (Cairo Al-Khanji Library, 1980 AD (
9. Dr. Hossam Al-Naimi, Dialectal and Phonetic Studies of Ibn Jinni, Baghdad: Dar Al-Rashid, 1980 AD (
10. Muhammad bin Yazid al-Mubarrad al-Fadil, edited by Abdul Aziz al-Maymani (Cairo: Dar al-Kutub, 1956 AD(
11. Abu Al-Fath Othman bin Jinni, Al-Khasa'is, Part 2, edited by Muhammad Ali Al-Najjar (Cairo: Dar Al-Kutub 1952 AD (
12. Dr. Ibrahim Anis, in Arabic dialects
13. Dr. Muhammad Salah al-Din Mustafa, Descriptive Grammar through the Holy Qur'an (Kuwait: Ali Jarrah al-Sabah Foundation, n.d .
14. Dr. Tammam Hassan, Language between Normative and Descriptive (Cairo: Anglo-Egyptian Library, (1958 AD ((
15. Dr. Ibrahim Anis, The Future of the Common Arabic Language, Cairo: Institute of Arab Studies, 3 1960 AD) p.

16. Ahmed bin Faris Al-Sahbi in Philology, edited by Dr. Mustafa Al-Shuwaimi (Beirut: Badran Foundation, 1964 AD (

17. Dr. Ali Al-Qasimi, Linguistics and Lexicography, Riyadh: Deanship of Library Affairs, King Saud University, 1975 AD (

18. Dr. Ali Abdel Wahed Wafi, Linguistics (Cairo: Dar Nahdet Misr, 1967 AD (

19. Dr. Hassan Aoun Language and Grammar, Alexandria, 1952 AD (

20. Dr. Ramadan Abdel Tawab, Introduction to Linguistics (Cairo: Al-Khanji Library, (1982 AD((

21. Jamal al-Din Muhammad bin Makram bin Manzur, Lisan al-Arab, Beirut, Dar Sader and Dar Beirut, 1968 AD (

22. Dr. Ibrahim Anis, in Arabic dialects

23. Dr. Ibrahim Anis, The Future of the Common Arabic Language

24. Dr. Daoud Abdo, Research in the Arabic Language (Beirut: Lebanon Library, 1973 AD (

25. Dr. Abdo Al-Rajhi, Arabic Dialects in Qur'anic Recitations (Cairo: Al-Khanji Library, 1979 AD(

26. Al-Tahami Al-Raji Al-Hashemi, Some Aspects of Linguistic Development, Rabat, Moroccan Publishing House, 1978 AD (

27. Dr. Ramadan Abdel Tawab Linguistic Development (Cairo: Al-Khanji Library (1983 AD ((

28. Dr. Al-Tahami Al-Raji Al-Hashemi, by Dean Abdul Jameed, Riyadh, Imam Muhammad bin Saud Islamic University, 1974 AD (

29. Some aspects of linguistic development, Ibn Hisham, clearest paths, Part 1, Sharh Muhammad Muhyi al-Ashmouni, Sharh 'Ala al-Fayyah Ibn Malik, Part 1, edited by Muhammad Muhyiddin Abd al-Hamid (Cairo: Al-Nahda Library 170-171 Al-Misriyah, 1955 AD(

30. Al-Khudari, Footnote to Ibn Aqeel (Cairo: Dar Ihya al-Kutub al-Arabi, undated), Part 1.

31. Al-Sabban, His Commentary on Ibn Aqeel, Cairo: Dar Ihya al-Kutub al-Arabi, undated). And what they mean by what they say is "one of the curiosities of Arabic ".

32. Fast. Dr. Ramadan Abdel Tawab, Chapters in Arabic Jurisprudence, p. 81.

33. Dr. Nihad Al-Mousa, in the History of Arabic (Amman: University of Jordan, 1976 AD (

34. Ibrahim Al-Samarrai, Comparative Philology, Beirut: Dar Al-Ilm Lil-Malayin (1978 AD(

35. Ibrahim Al-Samarrai, Comparative Philology, Beirut: Dar Al-Ilm Lil-Malayin (1978 AD(

36. Anas A. E. (2002). In Arabic dialects. Egyptian: Feel e. (2018.(

37. Characteristics of the classical Arabic language and its place in religion A. g. A.(1981). Social thinking, its origins and development.